



١

مداخلات لغوية لمظاهر الخلاف النحوي والصرفي أبو أسير الشمسان

أكرموني ابني الدكتور عبدالله راجحي محمد غانم بنسخة من رسالته لدرجة الدكتوراه المقدمة لجامعة - الخلاف النحوي والصرفي عند ابن فلاح اليمني في كتابيه: المغني وشرح الكافية)، بإشراف الصديق عبدالله صالح بابعير، وجاءت الرسالة في 882 صفحة، وليس غريباً أن ظهرت في هذا الحجم الكبير: كثيرة، ومهما كان السعي للاختصار - وهو ما صنعه الباحث- ظل الأمر فوق الطاقة، وأحسب أن سع القضايا من الأمور التي أجاءت الباحث إلى الاجتزاء في بحث بعض القضايا والاكتفاء بالترجيح.

يثير عنوان الرسالة بعض الإشكال عندي؛ إذ المتصفح لعنوانات فصول الرسالة ويطلع على محتواها قضايا الخلاف النحوي أو هي ظواهر الخلاف أي الظواهر اللغوية التي وقع فيها الخلاف، أما مظاهر الجهات التي حدث فيها الخلاف، أي ما يدل على الخلاف بينهم، فمن مظاهر الخلاف الموقف من النص في التقعيد، والموقف من البيانات اللغوية المرتضاة للاستشهاد اللغوي، وربما أراد الباحث بالمظاهر التي تضم جملة من المسائل المندرجة تحتها وهي عناوانات فصول الرسالة الثمانية. ومن الأمور التي يثيره للخلاف من وجهة نظر ابن فلاح؛ ولكن الباحث جعل كتابي ابن فلاح منطلقاً لجمع قضايا الخلاف بعاء حتى إنه حرص على تلمس موقف الباحثين المحدثين من بعض تلك القضايا، وحاول الاستفادة من جه لترجيح الأقوال.

أدرك الباحث أهمية كتابي ابن فلاح وبيّن أنهما كأنما ألفا في الخلاف النحوي، فهما من أكثر كتب النح الخلاف والعناية بها استقصاءً للأقوال وحشداً للحجج، مع تناول ناقد فهو يقبل منها أو يردّ معتمداً على وحجج بالغة، وهو أسلوب لم يجده الباحث عند من سبقوا ابن فلاح. ومع أن أبا حيان ثم السيوطي قارب شأوه، وهذا ما دفع الباحث إلى الاعتماد على كتابي ابن فلاح منطلقاً لدرس قضايا الخلاف في رسالة، بمقدمة وتمهيد وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع وفهارس فنية وخلاصة للبحث بالعربية والإنجليزية

اتخذ الباحث طريقة موحدة في درسه قضايا الخلاف؛ إذ يجعل للقضية عنواناً يورد تحته ما ذكره ابن في المسألة، وينسب الأقوال إلى النحويين ومن تابعهم أو وافقهم ومن رجه من المحدثين مثل مهدي الطويل، ثم يبين حجج النحويين، وقد لا يكتفي بما ذكره ابن فلاح من أقوال خلافية في المسألة بل يور في المسألة. وينتهي بتقرير مذهب ابن فلاح ويختتم برأيه أو ترجيحه هو بعد قوله «أما الباحث... إلخ»

والقارئ يدرك من تصفحه لهذه الرسالة الجهد الكبير الذي بذله الباحث والمعاناة التي عاناها، وهو عم الفرد؛ إذ مسائل الخلاف من الدقة والتشعب والعمق ما يحوج إلى فريق عمل، والقضايا الخلافية تستد موسوعة شاملة لهذا الغرض.

وقد أحسن الباحث أن ذكر في مقدمته أن «البحث في هذا الموضوع ليس الغاية من ورائه مجرد البحد وإنما قد يساعد البحث في هذا الموضوع في تفسير كثير من الظواهر اللغوية التي يدرسها علم اللغة الا تظهر دراسات جادة، وجهود مخلصّة تفيد من مسألة الخلاف النحوي والصرفي في تقديم نحو عصري والاضطراب من خلال مقارنة الآراء والخروج بنموذج مقبول يأخذ من كلّ فريق أحسن ما عنده وينبذ ظهره». وما يشير إليه الباحث مهم جدًّا فما العربية بحاجة إليه هو معالجة نحوها العظيم انطلاقًا منه إ مقولات غريبة عنه، غير أن استلهم تجارب الآخرين والاستفادة منها في هذه المعالجة أمر محمود ما العربي الموضوع بعد نظرة وصفية دقيقة إلى جمهرة الاستعمال العربي الموثوق بعرويته.
